الهوية المصرية : المارد الكامن فى الشخصية المصرية

نورا صلاح عبد الحميد عليوه
ماجستير في الآداب
كلية الآداب – جامعة عين شمس
مدير عام التخطيط والمتابعة بشركة
مصر للصوت والضوء والتنمية السياحية

عدد ٥٥ يوليو ٢٠٢٠ م

البحر المتوسط
الصحراء الغربية
جمهورية مصر العربية
السودان
المملكة العربية السعودية
الدلتا
الوادي الجديد
الواحات الخارجة
الواحات الداخلة
هضبة الجلف الكبير
القاهرة
الإسكندرية
الجيزة
أسوان
الأقصر
سوهاج
أسيوط
المنيا
بني سويف
الفيوم
سفاجة
القصير
مرسى علم
أبو سمبل
بحيرة ناصر

بعض النجوم المصرية الساطعة فى سماء العلم والفن والأدب والدين والسياسة سجل حافل بالفكر والإبداع والبطولات والانجازات لأجل رفعة الوطن والزود عنه

الهوية المصرية: المارد الكامن فى الشخصية المصرية

ملخص البحث

اذا كانت الهوية هى الحقيقة التى لايجرؤ على منازعتها زيف أو وهم أو تضليل، فلا عجب اذن عندما يقترن مصطلح الهوية بكلمة مصر، ان نجد انفسنا نمسك ببداية طرف الخيط للحياة الانسانية على وجه الارض، نجد انفسنا امام خط استواء الكرة الارضية ومركزها ونقطة ارتكازها، امام محراب الديانات السماوية وعبادة الله الواحد الاحد خالق الكون (التوحيد)، امام مجرى نهر النيل الخالد الذى حمل امانة حفظ وبقاء نسل هذه السلالة الفريدة. امام معين لا ينضب من مفاتيح الحياة وأسرار اقدم واعرق حضارة انسانية مازالت تتكشف لنا رويدا رويدا ، رأفة بنا ، حتي لا نصاب بالدوار وفقدان الوعي .

وهذا هو موضوع هذه الورقة البحثية: الهوية المصرية كمجموعة من الخصائص والسمات التي تنفرد بها الشخصية المصرية – دون سائر شعوب الارض – كنسق ثقافى ومنظومة انسانية متكاملة لشعب طبع بسمات النيل الفياض وشموخ الاهرامات واشراقة شمس النور والأمل.

فطبعت كل هذه الخصائص والسمات بصمة خاصة جدا على وجه المجتمع المصري وفى وجدان هذا الشعب العظيم لا يخطئه فيها أحد: فنجدها في تجاعيد وجه هذا العجوز وعلامات الزمن المنحوته عليه، وفى هذا الشاب الطموح المتطلع ذو الوجه البشوش، وذاك الطفل ذو الابتسامة العفوية البريئة، وتلك الفتاة المرحة الضحوكة وهى فى ريعان شبابها، وهذه الأم والزوجة المثقلة بالاعباء والهموم لاجل بيتها وزوجها وابنائها وهى فى كامل الرضا والسعادة .....كل هؤلاء ليسوا مجالا للخلط، كل هؤلاء هم من حملوا أمانة حفظ وبقاء واستمرار الهوية المصرية فى ملامحهم وطباعهم وأرواحهم وكياناتهم، فتولدت الهوية المصرية : هذا المارد الكامن في الشخصية المصرية .

وقد تبلور هذا الكيان العبقري المتفرد في رسم شخصية مصر العظيمة – كما جاءت عند مؤرخنا العظيم "جمال حمدان": مصر الفرعونية بالجد، والعربية بالأب. دون أدنى تعارض أو انشقاق لان كل من الأب والجد من أصل مشترك وعلاقات القرابة والنسب تاريخية. انه كيان واحد لا ينفصل بل يزيدنا ثراء وفخر وعزة، يجب علينا أن نغرسه وننميه فى ذاكرة أجيالنا ولا نسقط منه شيئا.

ولتبقى "**مصر دوما تسمو فوق هامات الحقب والعصور**" تعلم العالم كيف يخرج الغزاة وتبقى الشعوب لان "**كل عرض يفنى وكل محنة تزول، أما الشعب المصرى خالد لا يموت**".

وهذا هو صلب موضوع هذه الورقة البحثية: الحث على ضرورة احياء وبعث هذه الهوية المصرية بقوة والآن أكثر من أى وقت مضى، واعتبارها من الأولويات في تربية النشء كرمز للاصالة والتميز الحضارى تماما كما كانت في السابق، والتأكيد على أن مصر جاءت أولا ثم جاء التاريخ.

واستشعارا منى لاهمية هذا الموضوع وخطورته، حاولت طرحه في هذه الورقة البحثية من خلال عدة محاور (نقاط) رئيسية أتشرف بعرضها كالتالى:

- ❖ مفهوم الهوية الوطنية المصرية
- ❖ الأبعاد الرئيسية فى الشخصية المصرية
- ❖ دور البيئة والانسان المصرى فى صناعة الحضارة
- ❖ مصر التاريخ والحضارة فى مواجهة الثقافة المغلوطة والاكاذيب التاريخية
- ❖ مصر المكان الذى يمصر الزمان ويعيد صنع الانسان
- ❖ التوصية المقترحة
- ❖ الهوامش
- ❖ قائمة المراجع

مفهوم الهوية الوطنية المصرية

يعبر مصطلح ''الهوية '' – لغويا – وفي معناه البسيط عن حقيقة الشئ المطلقة التي تتضمن صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره . وهو ما يختلف عن مفهوم الشخصية بمعناه الدارج المتعارف عليه كمصطلح لوصف ذات الشخص : عقليا ، نفسيا ، اخلاقيا ، سماته الشخصية : مرن، عنيد ، متعصب ، متطرف ، محايد ، متسامح ، مواطن القوة ومواطن الضعف ....وغيرها من الطباع والسلوكيات التي تشكل هذه الشخصية بشكل عام . واذا كانت الهوية هي الحقيقة التي لايجرؤ علي منازعتها زيف أو وهم أو تضليل ، فلا عجب اذن عندما يقترن مصطلح الهوية بكلمة مصر ، ان نجد انفسنا نمسك ببداية طرف الخيط للحياة الانسانية علي وجه الارض ، نجد انفسنا أمام خط استواء الكرة الارضية ومركزها ونقطة ارتكازها ، أمام محراب الديانات السماوية وعبادة الله الواحد خالق الكون (عبادة التوحيد) ، أمام مجري نهر النيل الخالد الذي حمل أمانة حفظ وبقاء نسل هذه السلالة الفريدة . امام معينا لا ينضب من مفاتيح الحياة واسرار اقدم واعرق حضارة انسانية مازالت تتكشف لنا رويدا رويدا ، رأفة بنا ، حتي لا نصاب بالوار وفقدان الوعي .

ومن هنا يأتي مفهوم الهوية الوطنية المصرية كاطار جامع للشعب المصري وصفاته الجوهرية ذو الخصائص والسمات المشتركة من : دين ، أخلاق ، ثقافة ، لغة ، تاريخ ، جغرافيا ....انها الخصائص التي ينفرد بها الشعب المصري دون سائر شعوب الارض كنسق ثقافي ومنظومة انسانية متكاملة لشعب طبع بسمات النيل الفياض بالخير والنماء وشموخ الاهرامات ، واشراقة شمس النور والأمل ، فتوحدت جميعها في كيان واحد ذو طابع خاص جدا ، تولد من رحمه الانسان المصري المختلف ، المتفرد ، الغير قابل للتطبيع ، الشخصية المرودة التي تفرض ثقافتها ولا تفرض عليها ثقافة اجنبية.

والسؤال المطروح الان : مصر .....ما هي ؟؟؟؟

انه سؤال جد جلل .....أن نعرف حقيقة مصر ومكونات شخصيتها ودورها التاريخي والحضاري وما يمكن ان تقوم به وما يحاك لها.

حقا ، نحن في امس الحاجة الان ، اكثر من اي وقت مضي ، ان نجيب عن هذا السؤال الذي يبدو سهلا بسيطا ، ولكنه في واقع الامر ، صعب عسير . لانه يتطلب الالمام الشامل بتاريخ مصر وتطورها الحضاري في كل مراحله ، حتي نتمكن من معرفة حقيقة دور مصر ورسالتها في هذا الوجود .

وللاجابة علي هذا السؤال يجب ان نعيد الي اذهاننا بعض مؤلفات علمائنا ومؤرخينا الاجلاء من امثال : عالمنا الجليل د .جمال حمدان في موسوعته الخالدة "شخصية مصر" و"مستقبل الثقافة في مصر" لعميد الادب العربي د. طه حسين ، واستاذنا شفيق غربال في رائعته "تكوين مصر" وكذا د. حسين مؤنس ورسالته في "مصر ورسالتها" وحسين فوزي "سندباد مصرى" ....وغيرهم الكثير مما لا يتسع المجال لحصرهم هنا ، من ابناء مصر الابرار وعقولها المستنيرة ، الذين حاولوا جاهدين قدر استطاعتهم التعريف بعظمة مصر ومكانتها وفضلها ، وتهيئة الجو والمناخ للاجيال التالية لمواصلة مسيرة االبحث والعلم والاطلاع ومحاولة ابراز هذا الكيان العملاق الكامن في اعماق الشخصية المصرية الاصيلة ..... انه المارد الجبار الذي يستشعر وقت الخطر والتهديد ، فينهض بكامل عنفوانه وجبروته واصالته ليلملم شتاته ويحفظ لمصر هويتها الوطنية ومكانتها التاريخية وحضارتها الخالدة.

انها ، ياسادة ، الجينات المصرية المتوارثة التي تجري مجري الدم في العروق ..... انها الهوية الوطنية المتأصلة كمكون سلوكي ونمط اخلاقي في مكنون الشخصية المصرية لدي كل مصري مخلص اصيل منذ الازل والي ابد الآبدين باذن الله.

حقا ، قرون تمر ، عوالم تولد ثم تموت ، ومصر هنا في مكانها ، تبني وتعمر وتكتب وتنشد وتصلي ، تتألق وتتوهج ، تخبو أحيانا ، ثم تتألق وتتوهج .....وهكذا . لان الحضارة في نموها وتطورها اشبه ما يكون بالانسان ، لا يمكن ان تولد ناضجة كاملة النمو ، بل لابد لها من زمن طويل تنمو فيه وتتطور ، ولهذا تشبه الامم البشر : تصيبها الشيخوخة ويعتريها الهرم ، وكم

من حضارات سادت ثم بادت ثم سادت .....وهذه سنة الحياة والطبيعة البشرية كما فطرنا عليها.

حكاية جميلة من الف فصل وفصل مضت والف فصل وفصل آت باذن الله.

نعم ..... في البدء كانت مصر ....قبل الزمان ولدت ....وقبل التاريخ كانت .

هنا بدأ كل شئ ، وهنا عاش الرسل والانبياء. هنا البلد الوحيد الذي ذكره الله سبحانه وتعالي ، في كتابه العزيز بصريح اللفظ (مصر) خمس مرات(1) وخصها بأول نبي "ادريس" عليه السلام ، اول من علمه الله غزل الصوف وحياكة الملابس واستخدام النجوم لمعرفة الاتجاهات والاطوال وأول من خط بالقلم .ومر بها ايضا أبو الانبياء "ابراهيم الخليل" وتزوج منها "هاجر المصرية" وانجب منها ابنه "اسماعيل" (أبو العرب) عليهما السلام ، و"يعقوب" و"يوسف الصديق" الذى عاش على أرضها وأئتمن على خزائنها ، و"لقمان الحكيم" و"سيدنا الخضر" معلم "موسى" واستاذه الذي علمه أن "فوق كل ذي علم عليم" و"يوشع بن نون" فتى "موسى" في قصته مع "الخضر"، والسيدة "يوكابيد" أم موسي عليهم جميعا السلام . والسيدة "مريم" ابنة عمران "خير نساء العالمين" التي وصلت مصر بعد رحلة طويلة شاقة ، قدر الله فيها لعبده ورسوله "عيسى" عليه السلام أن يهبط مصر حين كان في المهد صبيا ، وتستقبله مصر بحب وتشرف باقامتهم فيها قرابة الثلاث سنوات ويعتنق اهلها دعوته ويصيروا أول المجاهدين لنصرته. ومن مصر ايضا اهدى "المقوقس" حاكم مصر لخاتم المرسلين "محمد" – صلى الله عليه وسلم – السيدة "ماريا القبطية" (أم المؤمنين) ، فتزوجها وانجبت له ابنه ابراهيم.

كل هؤلاء رموز عظيمة في التوحيد والايمان بالله وغيرهم الكثير والكثير ...لانها مصر التي شاء الله لها مكانة من كتبه ومنزلة من انبيائه ومرسليه وأن يخفق لاسمها القلوب ، فكانت هي دائما الارض الحاضنة للصالحين الاتقياء والملاذ الآمن لكل من يوحد رب العالمين منذ الأزل والي ان يرث الله الارض ومن عليها باذن الله . فهنيئا لك يا مصر بهذا الشرف من

عطاء الله وهنيئا لشعبك بك.

وهنا ، في مصر وقبل كل شئ ولد **الضمير الانسانى** ، هكذا قال برستيد (2) في كتابه العظيم عن مصر "فجر الضمير". والضمير هو ذلك الوازع الداخلي في كيان الانسان الذي ينبهه الي الخير ويحذره من الخطأ ويحاسبه حسابا داخليا صامتا . وعلي اساس الضمير ظهرت الديانة المصرية القديمة .

وكان المصري القديم أول من تنبه بالفطرة الي حقيقة **البعث والحساب** . اقرأوا ان شئتم تعاليم الحكيم المصري "امينوبي"(١٥٨٠ ق.م.) قبل نحو أربعة الآف عام ، المقتبس منها سفر الأمثال في العهد القديم (التوراة اليهودية) المنسوب كتابتها الي نبي الله سليمان عليه السلام . وهاهو "اخناتون" الذي أرسي ديانة التوحيد في مصر والعالم القديم وسبقت صلواته وتراتيله لعبادة الله الواحد مزامير النبي " داود " عليه السلام بقرون عدة .

وفي قلب المصري القديم وجدت "**ماعت**"، رمز الضمير الانساني والقانون الاخلاقي . و"ماعت" هى العدالة او مانطلق عليه اليوم المروءة : بمعني الانسانية والحب والخير والعدالة والفضيلة . هذه كلها اكتشفها المصرى القديم . وعندما اكتشفها وصل الي اعظم كشف في تاريخ الفكر البشرى ، اكتشف انه انسان وأن هناك فرق بينه وبين الحيوان ، لا تنازع علي البقاء وانما تعاون للبقاء . وهذا احد الاسرار الكبري للحضارة المصرية القديمة التي حيرت البشر. (3)

انها مصر المباركة عبر التاريخ ، تبسط نفوذها وهيبتها بالمنزلة التاريخية والمكانة السياسية. لذا ، فان ما يجب ان نهتم به الآن ، كل الاهتمام هو ان نعيد احياء تلك الحضارة في نفوسنا . نحاول فهمها ودراسة حكمتها، لا لمجرد التفاخر والتباهى، بل بهدف احياء وترسيخ خمسة الآف عام من تاريخنا حية في نفوسنا، ماثلة في مخيلتنا .....لأجل ان يتكون الوجدان المصرى عقلا وشعورا مما يوحي به تراثه الثقافي وتاريخه الحضاري . ان عليه أن يدعم قوامه الفكرى والخلقى بكل ما هو مصرى، حتي تتكون لديه شخصية مصرية

واضحة تعمل في الآداب والفنون والعلوم . ثم ليصور الرسام وينحت النحات ويؤلف الموسيقى ويكتب الكاتب في كل ما يوحي اليه عصره وبيئته وثقافته ووجدانه . وليتأثر ما شاء التأثر بمدرسة هنا ومدرسة هناك دون خوف ولا وجل. لان وجدانه المصرى السليم سوف يطبع مؤلفاته وكتاباته وفنونه بالروح المصرية المتأصلة بداخله.(4)

ونحن الآن وفى هذه المرحلة الحالية (الحرجة جدا) من تطورنا وكما جاء علي لسان عالمنا الجليل د. جمال حمدان ، وكأنه يخاطبنا اليوم ويشد علي أيدينا لأننا :

"في حاجة ماسة الي فهم كامل لوجهتنا ، لكياننا ومكاننا ، لامكانياتنا وايضا لنقائضنا ونقائصنا بلا تحرج أو تحيز أو هرب. ويستكمل مستطردا: **ليس في العلم شعب مختار ولا ارض موعودة،** وليس هذا دفاعا عن مصر ولا هو محاولة للتمجيد ، وانما هو تشريح علمى موضوعى يقرن المحاسن بالاضداد على حد سواء ويشخص نقاط القوة ونقاط الضعف سواء بسواء ، وبغير هذا لا يكون النقد الذاتي ."" لان الامم بعامة والامم العريقة بخاصة – كمصر – في أوج مجدها او تأزم محنتها ، بحاجة من وقت لآخر ان تتمهل قليلا لتتبين حقيقة موقفها علي هدي من ماضيها ودافع من حاضرها حتي لا يصيبها الغرور، فتهوي أو يتملقها الاسي او اليأس ، فتفني أو تنطفئ أو تتزايل شخصيتها ، وهنا يكمن الخطر الاكبر. ولهذا يتحتم التعرف علي شخصية الأمة في كل مرحلة من مراحل تاريخها وبعد كل أضافة جديدة الي جذورها . ولا يتحتم ان تكون الاضافة لسبا أو انتصارا ، فقد تضيف المحنة الي الأمة العريقة مالا تضيفه الانتصارات من تماسك وصلابة واصرار وقدرة علي العمل ونفاذ الي مواطن القوة وتبصير ببواطن الامور .(٥)

ولذا نطالب هنا ونلح في الطلب مرارا وتكرارا ، على ضرورة احياء تراثنا الثقافي والتعريف به وتبسيطه بشكل يضمن اتاحته للجميع كحائط صد منيع لاجيال جديدة صاعدة واعدة متسلحة بالعلم ضد اعداء الحياه ودعاة الدين ، ممن يتربصون بنا ، ولكننا بعون الله لهم بالمرصاد . لان التاريخ لا يكذب والحقائق لا تضلل ، وليس علينا الا ان نتذكر ونعيد ما فات ونقول ،

كما قال المولى عز وجل فى محكم كتابه "سنقرئك فلا تنسى". (6) كي يعلم الساهي والناسي والغافل والمقصر من تكون مصر ، فهى كما ابدع شاعرنا العظيم مأمون الشناوي قائلا:

نحن شعب حكم الدنيا وساد ونما والدهر في الدنيا وليدا

انها مصر يا سادة ، التي كانت دوما وستظل ابدا "ام البلاد وغوث العباد" – كما وصفها نبى الله نوح ، عليه السلام ، مدفوع عن اهلها الاذى والشر ، معافاة من الفتن ، ومن ارادها بسوء قصمه الله وكبه علي وجهه لانها بلد مبارك لاهله فيه ، محفوظة في كتاب الله ''ادخلوا مصر ان شاء الله امنين'' .

الابعاد الرئيسة في شخصية مصر

ليس سهلا تحديد ملامح شخصية غنية كشخصية مصر. اذ اننا ازاء حالة نادرة من السمات والخصائص التي تجتمع فيها ، وكثير منها تشترك فيه مع هذه الشعوب أو تلك. ولكننا في النهاية نجد انفسنا امام مجموعة من الملامح والسمات تجعل منها "**مخلوقا فريدا فذا حقيقة**" فهي بالجغرافيا تقع في افريقيا ولكنها ايضا تمت الي آسيا بالتاريخ. وليس في الدنيا بلد يرتبط تاريخه بجغرافيته كمصر.

فرعونية هي بالجد ولكنها عربية بالاب (ولان كل من الاب والجد من أصل مشترك ومن جد أعلى واحد ، فعلاقات القرابة والنسب تاريخية ومتأصلة)، ثم انها بجسمها النهرى قوة بر ، ولكنها بسواحلها قوة بحر. وتضع بذلك قدما في الارض وقدما في الماء. وهي بجسمها النحيل تبدو مخلوقا أقل من قوى ، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسا اكثر من ضخم. وهي بموقعها على خط التقسيم التاريخى بين الشرق والغرب، تقع في الاول ولكنها تواجه الثانى وتكاد تراه عبر المتوسط. كما تمد يدا نحو الشمال واخرى نحو الجنوب. وهي توشك بعد هذا كله أن تكون مركزا لثلاث دوائر مختلفة بحيث صارت مجمعا لعوالم شتى: فهى **قلب العالم العربى، وواسطة العالم الاسلامى، وحجر الزاوية فى العالم الافريقى.**

واذا كان لهذا كله مغزى: فهو انها تجمع بين اطراف متعددة غنية وجوانب كثيرة خصبة وثرية ، بين ابعاد وآفاق واسعة ، بصورة تؤكد فيها انها "**ملكة الحد الاوسط**" **وتجعلها** "**سيدة الحلول الوسطى**" **تجعلها** "**أمة وسطا**" **بكل معنى الكلمة (وليس اعتباطا بل مقدر ومتعمد ومدروس) بكل معنى "الوسط الذهبى": وسط فى الموقع والدور الحضارى والتاريخى ، فى الموارد والطاقة ، فى السياسة والحرب ، في النظرة والتفكير .....فى كل شئ.**

ولعل فى هذه الموهبة الطبيعية ، سر بقائها وحيويتها على مر العصور ورغمها. ونحن لهذا لا نملك الا أن نقول اننا كلما امعننا تحليل شخصية مصر وتعمقناها ، استحال علينا ان نتحاشي هذا الانتهاء : وهي انها "**فلتة جغرافية**" لاتتكرر فى أى ركن من أركان العالم . (7)

ايعقل بعد كل هذه العبارات البديعة البليغة لعالمنا الجليل د. جمال حمدان ، والتي تشعرنا وكأنه شاعر ولهان يتغني بمحبوبته (مصر) مجسدا محاسنها على استحياء وخجل – كعادة العلماء الاجلاء بتواضعهم الجم . ايعقل بعد كل ذلك أن نتراشق فيما بيننا بعبارات رنانة جوفاء ونختلف هل مصر فرعونية؟ قبطية ؟ أم هى عربية اسلامية ؟؟؟؟ وهل نترك الساحة لكل من هب ودب ليتحدث في التاريخ، يلتقط بعض الكلمات من هنا ومن هناك ويفجر بها قضية ؟؟؟ عار علينا ان نسمح بذلك ونغض عنه البصر.

ان مصر لابد ان تفخر بتاريخها وتحرص على ان يبقى في ذاكرة كل مصرى. فنحن فراعنة ونحن عرب ونحن مسلمون ومسيحيون، ونحن المساجد والكنائس والعلماء والمشايخ والازهر والرهبان والاديرة. ولا تعارض مطلقا بين مصر الفرعونية ومصر العروبة. مصر فرعونية، هذه حقيقة ، والفرعونية متأصلة في نفوس المصريين (٨) ، وما زالت آثارها الخالدة شاهدة علي ذلك . ولكن مصر ايضا قبطية، ولا زالت شواهد اديرتها واجراسها وكنائسها وشعبها وعقيدتها باقية حتي يومنا هذا . ومصر الاسلامية، هي التي حملت وعلمت الدنيا كلها الاسلام دينا وعقيدة وحضارة ، فهى التى احتضنت الهوية العربية الاسلامية، دون سائر البلاد الاسلامية بما فيها الحجاز نفسها مهد الاسلام ومهبط الوحى . فلا تعارض علي الاطلاق بين مراحل تاريخنا لان في ذلك ثراء وقيمة ورفعة.

ان مصر الفرعونية، القبطية، الاسلامية، ذات الخصوصية والهوية المستقلة، ارتبط تاريخها بالعقائد الابراهيمية الثلاث، تلك هى هوية مصر التى حفظتها وحفظت قوام الدولة المصرية عبر التاريخ. (٩)

ولذلك أصبحت مصر، بكل فخر أقدم بوتقة انصهار فى ال.ي عالم. وكان نتاج هذا الانصهار هو سبيكة واحدة متجانسة نظرا للعمق التاريخي لهذا الانصهار ولانه قد تم عبر قرون طويلة. ولذلك ، فان الحديث عن النقاء العرقى في مصر هو حديث غير مقبول. لان الواقع يدحضه: فلا يوجد قوم

يزعمون انهم سلالة نقية للفراعنة، كما لا يوجد من يزعم أنه يحمل دماء عربية نقية أو أنه تركى شركسى لحما ودما.

فقد ذابت كل تلك العناصر التى دخلت فى ظروف مختلفة وامتزجت ، فتولدت شخصية مصرية تحمل بعض الملامح أو الخلفيات أو الانتماءات من هنا وهناك.

واذا كان الاقباط كثيرا ما يتوهمون انهم يحملون اصولا فرعونية، فما ذلك الا رد فعل طبيعى كأقلية تود أن تؤكد انتمائها لهذا الوطن وحده دون سواه. فنجد أقباط ذو بشرة ناصعة البياض وعيون شديدة الزرقة أو الخضار وشعور ذهبية، فمن أين لهذه العائلات كل ذلك الا من خلال اختلاطهم مع الفرنسيين أو بعض العائلات المسيحية التى هاجرت من الشام نتيجة الاضطهاد هناك. وفي ذات العائلات من لديهم بشرة سمراء وتقاطيع فرعونية، فهذه ظاهرة متكررة في العائلة الواحدة لكل من الاقباط والمسلمين (١٠) وعلي الرغم من ان فتح العرب لمصر يمثل نقلة كيفية فى تاريخ الهجرات العربية الى مصر، الا أن ما تركه عصر الأسرات الفرعونية من نقوش وكتابات، يثبت أن العرب كانوا في حدود عام (٢٠٠٠ق.م.) يسكنون الصحراء الغربية والشاطئ الأعلى للنيل حين دخلوا مصر فى أعداد كبيرة عن طريق ساحل اريتريا واستقروا بها . كما شكلت سيناء ايضا مدخلا هاما رئيسيا من مداخل هجرة القبائل البدوية ومن بينها القبائل العربية، فاستوطنوا جبال سيناء والمنطقة الصحراوية الممتدة بين مصر وفلسطين.

وفى العصر الفاطمى: وفد من المغرب قبائل من البربر تحمل انسابا عربية وجاءت من المشرق دفعات اخرى من العرب. وخلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة بلغ مجموع القبائل العربية وبطونها التى وفدت الى مصر وأقامت بها مائتان أربع وأربعون (٢٤٤ قبيلة وبطنا) : ستون (٦٠) قبيلة وبطنا منها من عدنان، ومائة اثنان وسبعون (١٧٢) قبيلة وبطنا من قحطان، وهذا غير عدد آخر من التجمعات الخاصة والقبائل المجهولة.(١١) وعلاوة على هذه الموجات من الهجرة العربية، هناك موجات أخرى تلتها أو سبقتها من

جنسيات ودول كثيرة بعضها قديم والآخر حديث: فهناك الأتراك والشراكسة والمماليك، ولابد أن يكون قد تم تزاوج فى فترة الحملات الصليبية (فى المنصورة وغيرها). وفى العصور الحديثة جاءت الحملة الفرنسية ثم جاء الاستعمار البريطانى، وهناك جاليات كبيرة من اليونانيين والايطاليين هجرت بلادها فى ظروف مختلفة فى القرن التاسع عشر وبعده، وقد أقاموا فى المدن والريف لسنوات طويلة. وهناك بعض الأرمن جاءوا هاربين قبل واثناء "مذبحة الأرمن" بواسطة الاتراك ١٩١٥. ولذا ، فان الحديث عن النقاء العرقى فى مصر هو حديث غير مقبول لان الواقع يدحضه ، كما سبق وأشرنا.

دور البيئة والانسان المصري في صناعة الحضارة

هل مصر هبة النيل ؟ ام هبة المصريين ؟

هذا هو السؤال: فمنذ قال هيرودوت مقولته الشهيرة، تعرضت للتأويل فى اتجاهات مضادة تماما: فقد رحب بها البعض، خاصة فى الغرب على اساس انها ترد الفضل فى روعة الحضارة المصرية الى النهر ونظامه الطبيعي وخصبه وتربته. وبذلك تجرد المصرى من أى فضل يذكر. والبعض الاخر ولاسيما من الكتاب العرب رفضوا مقولة هيرودوت، اذ رفضوا اعتبار مظاهر الحياة كرد فعل آلى للبيئة، وينتهي الى أن "الانسان انما يصنع نفسه". وآخرون يأخذون موقفا وسطا أكثر حذرا بقولهم "مصر هبة الانسان بقدر ما هى هبة النيل" .

والموقف الصحيح هو أن المصريين حين هبطوا الوادي فى فجر التاريخ، وجدوا بيئة بدائية لا تصلح للسكنى والاستغلال: المستنقعات والبرك والادغال والنباتات والحيوانات البرية فى كل مكان . وكان عليهم أن يغيروا هذا كله بالجهد الشاق والعمل الجماعي المضنى المتصل فى تطهير النبات والحيوان وشق الترع والمصارف ومجابهة اخطار الفيضان او الجفاف وضبط

النهر. لقد كان على المصرى أن يحول اللاند سكيب الطبيعى الى لاند سكيب حضارى 'بالدم والعرق'.(١٢)

وهكذا لم يكن الانسان سلبيا خاضعا للطبيعة بل طوعها وأخضعها لنفسه. وهذا ما عبر به "سترابون" بقوله عن المصريين: ''انهم يقهرون الطبيعة بالعمل والجهد وكثيرا ما ينجح الجد حيث تخفق الطبيعة '' (١٣)

اذن ، مصر هبة الانسان ، ولكن أى انسان ؟؟؟

انه الانسان المصرى لان كل أرض هى أرض مختلفة لكل جماعة من الناس تسكنها. وليس حتما ان تتشابه استجابة كل جماعة للارض الواحدة. وليس لنا أن نتكهن بما كان يمكن ان يكون عليه الركب الحضارى في مصر لو كان قد نزلها شعب آخر.(١٤)

ومن ثم، وبدون عنصرية، فان مصر ارض شكلتها الطبيعة وشكلها الانسان شيئا له ذاتيته وشخصيته واهميته، وهى **وطن مجتمع من بنى الانسان** تربط بعضهم ببعض روابط مادية وادبية. **انها وطن مجتمع مغاير لمجتمعات بشرية اخرى.** ومهما تعددت الاصول، فقد كان هناك "طابع مصرى" تشكل فى هذه البيئة المصرية، وهذا الطابع لا يعنى السمات الجسمانية، بل موقفا معينا من الحياة. ان المصريين هم الذين خلقوا مصر: تأمل النيل مجتازا الآف الاميال من خط الاستواء الى البحر المتوسط، هل تجد على طول مجراه الا مصر واحدة ؟؟ ان هبات النيل كهبات الطبيعة سواء بسواء، طائشة عمياء، اذا ما تركت دون ضبط فانها تدمر كل شئ، وتخلف مستنقعات الملاريا الوبيلة. والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من هذه الهبة نعمة لا نقمة. وذلك هو ما فعله الانسان فى مصر لذلك، فمصر هبة المصريين .(١٥)

واذا كانت الحاجة ام الاختراع ، فان البيئة خامة الاختراع ، وفي البدء كان النيل. وتظل مقولة هيرودوت صحيحة. وليس ثمة تعارض فى ذلك ..... فمصر هبة النيل طبيعيا وهبة المصريين حضاريا. ان بيئة النيل هى الخامة والمصرى هو الصانع، والمقولتان متكاملتان لا متعارضتان. ولكن كلا منهما على حدى نصف حقيقة. والحقيقة الكاملة أن مصر هبة مشتركة من النيل

والمصريين.

وان كانت التقاليد الكبرى للثقافة المصرية المتمثلة في ملامح محددة من: عقيدة دينية راسخة ونظام حكم مهيمن ونظام للكتابة والابداع فى الفن الاثرى والمعمارى، قد تلاشت جميعها بحلول آواخر العصر البطلمى وبداية الحقبة المسيحية، الا أن الكثير من مظاهر مصر القديمة الثابتة الراسخة هى التى حافظت على بقائها، فلننظر مثلا: (١٦)

من الناحية الاقتصادية: لم تتعرض مصر للانهيار لان فيضان النيل السنوى ضمن لمصر مصدرا متجددا من الارض الخصبة القابلة للزراعة، كما لم تتعرض الموارد الطبيعية للاستنزاف تماما على نحو ما شهدت الدول فى بلاد ما بين النهرين مثلا .

ومن الناحية السياسية: لم يحدث انفراط فى عقد الدولة المصرية، يقارن مثلا بانهيار دولة مثل (روما) . فقد قاومت الدولة الفرعونية :غزو الهكسوس والفرس والاشوريين والاغريق والرومان، ولكن مع ذلك بقت حدود الدولة المصرية دون تغيير، بل وظلت هكذا حتى فى العهدين المسيحى والاسلامى. ومن ثم ليس بوسع المرء التحدث عن تشرذم مادى للدولة، لان حدود مصر السياسية لم تشهد تغييرا منذ أربعة الآف وخمسمائة (٤٥٠٠) عام مضت ولم تنقص شبرا منذ عهد مينا (نارمر). وكل شبر من أرضها أعاده اليها جنودها المقاتلون االبواسل "خير أجناد الارض" المرابطون علي الحدود منذ فجر التاريخ. و نؤكد – من الشواهد التاريخية – أن المصرى لن يرضى ابدا بأن يترك شبرا من أرضه تحت يد غيره (١٧). (قارن ما تقوم به القوات المسلحة المصرية الآن فى العملية الشاملة سيناء ٢٠١٨).

ومن الناحية الثقافية: يمكن رؤية دلائل دوام الثقافة المصرية – تحولها لا زوالها – فى أفتتان الثقافات المعاصرة بتلك الحضارة العريقة. فهى حضارة ملهمة، مازالت الدنيا تحاول فك الغازها وفهم المغزى العميق الذى يقف وراءها. فضلا عما استوعبته هذه الثقافات من مظاهر عدة من الحضارة المصرية فظلت مصر عبر التاريخ مركز جاذبية واهتمام، حتى أن علم

المصريات بات يعتبر من الدراسات الاساسية فى تاريخ الحضارات وعلم سيكلوجية الشعوب(Egyptology)

حقا، آن لمصر أن تزهو وتفخر، دوما، بتراثها الحضارى ورصيدها الثقافى وتاريخها العريق. لان الحضارة الفرعونية هي الحضارة الأم لانها أول دولة في العالم لها تاريخ مكتوب ونظم ثابتة ولذلك اعتبرت بكافة المعايير اما للحضارات الانسانية (١٨)، التى الهمت الاغريق والرومان، وتواكبت مع الصين القديمة وبلاد الرافدين، وتبادلت رسائل التنوير مع الأمم القديمة والشعوب العظيمة. واذا كان قد جاء عليها حينا من الدهر تراجع فيها دورها أو خفت صوتها، الا انها كانت ولاتزال وستظل ركيزة محورية فى حركة البشرية بحكم التاريخ والجغرافيا والسكان (الشعب) لانها هى: "مصر التى تسمو دائما فوق هامات الحقب والعصور"

بالفعل، أشياء كثيرة قد تسقط في مسيرة البشر ولكن الاوطان باقية لاتسقط، انها تتسرب عشقا فى الدماء وتتجسد صورا فى الملامح وتبقي اكبر من كل الكلمات واغنى من كل الثروات. لقد اعطى المصريون لغيرهم كما أخذوا منهم ايضا، ومرت عليهم ايام عز وسؤدد، كما مرت عليهم ايام ضعف وهوان ، لكن الروح القومية المصرية سليمة قوية وستظل دائما وثابة متعطشة للتقدم. لقد استمدت مصر شخصيتها الحقة من شخصية ارضها ونيلها. وزالت الدولة وزال الغزاه وبقيت مصر وبقى الشعب المصرى المخلص لتقاليده منذ الآف السنين، وسيظل طالما بقى النيل يفيض بالخير والبركات، وهو باق باذن الله الى أبد الآبدين لان "كل عرض يفنى وكل محنة تزول ، اما الشعب المصرى ، فخالد لا يموت" .(١٩)

ومن ثم، فليس ثمة شئ كتخلف حتمى تفرضه البيئة علي الحضارة كمقابل أو كضريبة للسبق بالأمس. بل أن كل تخلف حضارى هو بالضرورة مؤقت ومرحلى مهما طال. وأمام مصر كل الفرص الطبيعية للحاق بالعصر ومواكبته ان لم يكن تجاوزه بعد ذلك.

ولهذا، اذا عد الغرب نفسه اليوم استاذنا حضاريا، فقد كان تلميذنا بالامس، ومن ثم فان هى الا بضاعتنا – مهما تحورت وتطورت – ردت الينا.

وما هو الا دين قديم تأجل سداده قرونا. ونحن في هذا نختلف عن بلد كاليابان مثلا أخذ بالحضارة الاوربية الحديثة أخذا شديدا دون عطاء سابق، أما نحن فعلاقتنا الحضارية علاقة أخذ سبقه عطاء. (٢٠) وستظل مصر حافظة عبقرية الزمان بالتراكم الحضارى الضخم الذى لا يدانيها فيه أحد.

ولكن لان مصر هى حجر زاوية المنطقة ورمانة ميزانها، فستظل دوما مستهدفة ومرصودة من قوى الشر. وهنا لابد أن نتذكر مقولة اللورد البريطانى "بيتر كارنجتون" – الملقب بشيطان الامم المتحدة – عن مصر وقدرها بين الامم والاهم ما هو المخطط لها من العالم المحيط بها ؟؟

فماذا قال اللورد البريطاني ؟؟

قال سيادته: "**يجب أن نعلم أن مصر هى أقوى دولة فى منطقة الشرق الأوسط، وتمتلك كل مقومات القوى سواء القوى البشرية و السياسية والعسكرية والثقافية، فضلا عن تميز موقعها الجعرافى . فالخلاصة أن مصر هي أقوى دولة فى المنطقة وهو ما سيدوم لها، مما يسبب لها مشكلة : أذ أجمعت الدول المحيطة والبعيدة على وضع مصر فى حمام سباحة (pool)، تصل المياه فيه الى اطراف الانف ولا تزيد عن ذلك فتغرق مصر، ولا تقل فتظهر اذرعتها ... فلا يتمني أحد لمصر أن تهوى بأعتبارها حجر زاوية المنطقة ورمانة ميزانها، ولا يريد أحدهم أن يراها تنهض فتظهر قوتها. وصدقونى: سيعمل الجميع على أن تظل مصر دائما فى حمام السباحة، لان الجميع يهاب مصر ويخشاها...**" (٢١)

وأمام هذه الكلمات الموجزة الخطيرة ، يجب أن نتوقف جميعا بالدرس والتحليل والتدقيق ، لنعى وندرك ونتيقن **ماذا يراد لمصر ولأهلها ؟؟؟ والى متى ستظل مصر فى حمام السباحة ؟؟؟**

أتطرق فى هذه الجزئية لمحاولة الطمس والتعتيم وتغييب الوعي المتعمدة لابنائنا منذ عدة عقود مضت، وما ترتب على ذلك من ابتعادنا عن الثقافة العامة وتنمية المواهب وتذوق الفنون وحتى الاحساس بالجمال افتقدناه، بل والاكثر من ذلك، ما انتابنا مؤخرا من انهيار اخلاقى وسلوكى لم نعهده من قبل. ونظرا للتقدم التكنولوجى والمعلوماتى الذى اصبح فى متناول الجميع، اصبح الكثير منا للاسف – ربما من باب الاستسهال والاتاحة – يستمد معلوماته وثقافته من خلال وسائل التواصل الاجتماعى المختلفة وبعض القنوات الفضائية الموجهة التى اقتحمت حياتنا الاجتماعية والعملية وتخللتها بكل ضراوة ودون مقاومة تذكر. فلم نعد نتلقى معارفنا من مصادرنا الاصلية الموثقة تاريخيا أو مراجع ومؤلفات مؤرخينا المتخصصين سواء من مصر أو من خارجها. فقد ابتلينا مؤخرا بهذه القوة الغاشمة من هؤلاء الكارهين لانفسهم، الكاذبين ، مدعى العلم ، الناقمين علينا وعلى تاريخنا العريق ، عازمين علي تشويهه ، معلنيين تبرئهم منه وسخطهم عليه، وجهادهم المستميت كى يؤهلونا لتصديقهم واتباعهم. تارة يزعمون ان تاريخنا لم يكن الا كفرا وطغيانا، ونقول وراءهم امين. وتارة أخرى يزعمون اننا شعب ذليل يتسم بالخنوع والاستسلام، ونقول وراءهم ايضا آمين . والنتيجة نجد انفسنا في النهاية غرباء عن تاريخنا، نكرهه ولا نستطيع الدفاع عنه. واصبح ما يشغلنا هو فقط "لقمة العيش": نعيش لنأكل ونشرب ونتناسل، ونكتفي بهذا القدر المتاح مهما كان ضئيلا أو بسيطا. وهذا هو هدفهم المنشود، وتلك هى النتيجة الطبيعية لسياسة تغييبنا عن الوعي وجهلنا بتاريخنا.

ولكننا الآن، وفى خضم هذا الزخم من المعلومات المغلوطة والمعتقدات المضلله، وفى محاولة لردها الى اصلها، وجدنا انها مجموعة من الاكاذيب والمزاعم اليهودية و الاسرائيليات التى تنم عن كره دفين وحقد وغل مسموم على مصر و المصريين لا مثيل له. وقد روجت تلك الاسرائيليات الي ان مصر القديمة موطنا للذل وكنفا للاستعباد ، فهي في تلمودهم تسمي "" بيت العبودية

"" ويصف الجنس المصري بانه جنسا وحشيا . كما يظهر ذلك جليا فى "سفر الخروج" (٢٢) عند الحديث عن مصر وهجرة بنى اسرائيل اليها بعد ان عصف بهم الجوع وعن استبعاد المصريين لهم وخروج "موسى"– عليه السلام – وبنى اسرائيل من مصر بأمر الهى. واذا سلطنا الضوء علي مواضع ذكر مصر في العهد القديم المدون بأيدي أحبار اليهود ، سنلاحظ ان ذكرها لم يأتي الا مصحوبا بأيات السخف واللعنات الألهية .

وقد حاول بعض حاخاماتهم وعلمائهم المتطرفين المتعصبين الترويج لهذه الاكاذيب بالسنتنا نحن. وقد نجحوا بالفعل، مستغلين هذه الفئة من المدعين ذوى النفوس الضعيفة الذين يعتقدون في هذه الاسرائيليات الخبيثة كى يحولوا هذا الحقد والحسد والكراهية الشديدة الى ثقافة عامة نتلقاها منهم ونرددها عنهم . ولكى ندرك مدى نجاحهم فى انجاز هذه المهمة، يكفى أن نقرأ ما كتبه "تقى الدين المقريزى" – وهو مصرى مثلنا وكان مؤرخا مثقفا وقاضيا واماما – فماذا قال هذا الامام المصرى عن بلاده وعن شعبه: قال أن الله تعالى لما خلق الاشياء ، وجعل لكل شئ شئ :

قال العقل: أنا لاحق بالشام.....فقالت الفتنة: وأنا معك.

قال الخصب: أنا لاحق بمصر .....فقال الذل: وأنا معك.

قال الشقاء: أنا لاحق بالبادية .....فقالت الصحة: وأنا معك.

واذا امعنا النظر فى هذه الكلمات لوجدناها ترجمة حرفية لما جاء في التلمود ، هذا الكتاب الذي يحوي كل الوان الحقد البشري والعنصرية : اذ لم يعد يرى فى مصر الفرعونية الا نير العبودية وذل الطغيان. ولكن حقيقة الامر أن حديثه عن "الخصب" حسد، وكلامه عن ذل المصريين كراهية، حولت تحضر الفلاحين المصريين الى ذل وعبودية. ويواصل المقريزي بذاءاته عن مصر، فيقدم لنا رواية ينسبها الى "عبدالله بن عمر" جاء فيها: أن الشيطان هبط العراق والشام، فطرد منهما، وأما فى مصر فقد باض وافرخ. ويستمر المقريزى في بذاءاته عن مصر قائلا: ان المكر عشرة اجزاء : تسعة فى القبط، وواحد فى سائر الناس. والطامة الكبرى عندما يتحدث عن أخلاق المصريين

قائلا: "أبدانهم سخيفة سريعة التغير، قليلة الصبر والجلد" وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستمالة والتنقل من شئ الى شئ والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة فى العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعى الى السلطان وذم الناس. وليست هذه الشرور عامة فيهم، فمنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور"(٢٣)

ورغم ما يقال من دفاع عن المقريزي في هذا الصدد: وهو أنه قد كتب ما كتب عن المصريين وأخلاقهم انطلاقا من رؤية تشكلت لديه فى ظل العصر المملوكى (فى القرن الخامس عشر) الذى سادت فيه المظالم وحل البطش بالناس. فكانت هذه الأخلاق التى رصدها سيادته هى وسائل المجتمع لاتقاء شرور الحكام الأقوياء وكسب العيش والبقاء. وانه قال ما قال بحق المصريين من منطلق النقد الذاتى بدليل تنويهه مشكورا الى أن منهم ايضا من خصه الله بالفضل وحسن الخلق. ولكن حقيقة الأمر أن كل هذا لا يشفع ولن يشفع لسيادته ما قاله في حق أهله وشعبه من المصريين. وستظل ابد الدهر سبة فى جبينه ووصمة عار وسقطة لا تغتفر ولا تسقط بالتقادم.

ولنقارن ذلك سريعا بما جاء علي لسان "الحجاج بن يوسف الثقفى" في وصيته لطارق بن عمرو قائلا: "لو ولاك أمير المؤمنين أمر مصر، فعليك بالعدل، فهم قتلة الظلمة وهادمى الامم، وما أتى عليهم قادم بخير الا التقموه كما تلتقم الام رضيعها، وما أتى عليهم قادم بشر الا أكلوه كما تأكل النار اجف الحطب. وهم أهل قوة وصبر وحمل. ولا يغرنك صبرهم ولا تستضعف قوتهم، فهم ان قاموا لنصرة رجل ما تركوه الا والتاج علي رأسه. وان قاموا على رجل ما تركوه الا وقد قطعوا رأسه. فاتق غضبهم ولا تشعل نار لا يطفئها الا خالقهم، فانتصر بهم ، فهم خير أجناد الارض. وأتق فيهم ثلاثا : نسائهم : فلا تقربهم بسوء والا أكلوك كما تأكل الاسود فرائسها – أرضهم: والا حاربتك صخور جبالهم – دينهم: والا أحرقوا عليك دنيا. وهم صخرة فى جبل كبرياء الله تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله."

هكذا اصبحنا مشوشى الفكر، لم نعد نعرف اين نحن من هذا التاريخ: نتبرأ منه أم ننتمي اليه؟ اذا تبرأنا منه، فنحن عبييد نسل عبيد – واذا

انتمينا اليه، فنحن غزاه نسل غزاه. وسوف نظل فى الحالين غرباء فى بلادنا، نكره تاريخنا ونكره انفسنا.

والسؤال الان للخروج من هذه المتاهة الفكرية والمعضلة الاخلاقية: هل صحيح ما جاء في هذه الاسرائيليات وتلمود الأحبار واسفار العهد القديم في المصريين ؟؟؟

وهل يتفق هذا مع صحيح التوراة – الرسالة السماوية كما نزلت على موسى عليه السلام – ومع المصادر التاريخية والوثائق الاصلية وكتابات المؤرخين سواء من الاجانب أو المصريين عن بلادنا وثقافتنا وحضارتنا ؟؟؟

الاجابة بالطبع ، لا ، لا والف لا.

لقد استغل اليهود سطوتهم الدعائية ، فقاموا بدس الافتراءات علي تاريخنا وملوكنا العظام واشاعة تراثهم المغلف بالاحقاد الدفينة وصولا الي حد سرقة التاريخ . ويتضح ذلك في ادعائتهم الباطلة بأن اليهود هم بناة الاهرامات وان اخناتون من اصل عبراني ، بالاضافة الي حديثهم المطول عن وثنية المصريين والسخرة التي عاشوا في ظلها .....ورغم ان كل ذلك يمكن تفنيده علميا بيسر وسهولة ودون عناء ، الا ان سيطرتهم الاعلامية هي التي مكنت لهم دس تلك الاكاذيب واشاعتها في العقول ، مستهدفين بها تاريخنا وهويتنا

حتى نفقد حبنا واحترامنا لتاريخنا، فنفقد الولاء والانتماء لهذا التاريخ العريق والمجد الوطني العظيم. ولنضع نصب أعيننا دائما مقولة "فرويد": "ان عقدة اليهود الآزلية هى الحضارة المصرية".

ولندلل علي ذلك بما ورد فى التوراه نفسها ايضا، وهو مخالف لهذه المزاعم تماما: فلنقرأ مثلا ما ورد من أن سيدنا "نوح" – عليه السلام – لما جاء الطوفان وركب السفينة وطاف الارض ، كان كلما مر على بلد خرج اليه الملائكة الذين يتولون حراستها، فيسلمون عليه ويلقون عليه السلام.

ولما مر على مصر لم يخرج اليه أحد، فتعجب نبى الله "نوح" من ذلك، فنزل عليه الوحي من الله تعالى: ' لا تعجب يا نبى الله، فكل بلد جعلت لها ملائكة تحرسها، الا مصر، فانى توليت بنفسى حراستها".

ولما انتهى الطوفان، استقرت سفينة نوح على الارض، قال له حفيده "مصرايم": لقد آمنت بك يا جدى ولم يؤمن بك أبى، فادعو لى دعوة أسعد بها، فقال نبى الله: "اللهم انه آمن بى، فأسكنه الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد، والتى نهرها أفضل انهار الدنيا" (أى اسكنه مصر). أى أن مصر موجودة من قبل هبوط "مصرايم" – حفيد سيدنا "نوح" عليه السلام – اليها.

وهذا يبطل الزعم اليهودى القائل ان اسم مصر مشتق من اسم "مصرايم" بن حام بن نوح. ولكن الرأى الأرجح والأكثر قبولا هو أن اسم مصر يعود للجذور السامية، وهو مرادف لكلمات كثيرة بعدة لغات تؤول ترجمتها جميعا لكلمة "الحد الفاصل – الحدود" لان مصر تقع كحد فاصل بين قارتى افريقيا وآسيا.

اذن ، كيف لهذه الارض المقدسة المباركة التي دعا اليها "آدم" و"نوح" وجاءها "ابراهيم" – أبو الانبياء – وخرج منها "اسماعيل" – جد العرب – وتربي فيها "يوسف الصديق" ومات ، وولد فيها "موسى"، ولجأ اليها "عيسى" –ابن مريم – ومنها صاهر"**محمد**" –خاتم المرسلين – عليهم جميعا السلام – كيف لهذه الارض أن تكون نجسة، كما يروى كعب الأحبار اليهودى: "ان شر النساء على وجه الارض نساء مصر، وأن أرض مصر نجسة يطهرها النيل كل عام" كيف يتأتى ذلك والله عز وجل يقول فى محكم كتابه :(٢٤)

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (11) **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)**

ويقول ايضا: **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١)** وَطُورِ سِينِينَ(2)

كما يقول كذلك **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠)**

انها مصر، يا سادة، أرض الحضارة والتاريخ والاديان، مصر التي وصفها عمرو بن العاص لسيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – الذى كم تمني لو أنه استطاع أن يزورها. فكتب اليه يسأله أن يصف له مصر وصفا يجعله كما لو أنه يراها. فكتب اليه عمرو قائلا: **"أعلم يا أمير المؤمنين أن**

مصر قوية غبراء وشجرة خضراء، طولها شهر وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر، وسط نيل مبارك الغدوات ميمون الروحات فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، اذ هى عنبرة سوداء، فاذا هى زمردة خضراء.....فتبارك الله الخالق لما يشاء، الذى يصلح هذه البلاد وينميها ويقر قاطنيها فيها، لا يقبل قول خسيسها فى رئيسها، ولا يستأدى (يحصل) خراج ثمرة الا في آوانها ....."

فلما قرأ "عمر" كتاب "عمرو" قال: **"لله درك يا بن العاص ! لقد وصفت لى خبرا كأنني آراه" . (٢٥)**

انها مصر التى دعت لها السيدة "زينب" – بنت الامام "على" رضى الله عنهما – ولاهلها قائلة: "يا أهل مصر، نصرتمونا، نصركم الله، وآويتمونا، آواكم الله، وأعنتمونا، أعانكم الله، وجعل لكم من كل مصيبة مخرجا ومن كل ضيق فرجا."

هذه هى مصر وهذا هو معدنها الاصيل الذى وان طمسته الاحداث فترة، فان عزيمة ابنائها تزيل هذا الصدأ لتعود وتظهر الحقيقة مشرقة لامعة. فلنفخر بتاريخنا وجذورنا العتيقة الراسخة، وليعلم الجميع أن مصر ليست دولة تاريخية، مصر جاءت أولا ثم جاء التاريخ. ولنتذكر دوما قصيدة الشاعر الاغريقي سيمونيديس عند انهيار أسبرطة (١٤٦ ق.م.) حين قال : "" هزمناهم ليس حين غزوناهم ، بل حين انسيناهم تاريخهم وحضارتهم ."

مصر: المكان الذي يمصر الزمان ويعيد صنع الانسان

انها مصر – "المصر" – الاقليم الذى يصنع الانسان ويعيد صنعه مرات ليناسب عبقرية المكان. المكان الذى تهوى اليه القلوب والعقول من بنى الانسان، افاضل الناس: العلماء، الادباء، الفنانون، التجار ، الصناع .....الجميع يأتى اليها ويتمصر. لم يبق شعب من شعوب الارض الا وامتزج وذاب جزء منه فى المصريين. كثيرون جدا من الذين زاروا مصر على طول العصور، فهموها واحبوها واستقروا فيها واندمجوا فى غمار اهلها واصبحوا شيئا من كيانها.

ابدا، لم تكن مصر فى يوم من الايام موطنا مغلقا لشعب بالمعني الاممى العرقى للشعب. فالمصريون ليسوا قبيلة أو مجموعة قبائل تمددت بالتزايد الكمى عبر الزمن. انما المصرى هو روح صنعتها عبقرية المكان – كما سبق واسلفنا – تتمدد بالاضافات الكيفية وليست الكمية من خلال استيعاب بشر آخرين تمصروا واصبحوا جزء منها. وربما كان هذا احد اسباب عظمة مصر وازدهار حضارتها.

وفي تاريخ مصر عقول كبيرة كثيرة، ولكن الكثير منها لم يكن كبيرا قبل أن يدخل مصر ومصر هى التى أعطته حجمه:

"**الاسكندر**" ، دخل مصر قائدا صغيرا ، وبمجرد وصوله للدلتا قال: "أى جنة هذه" وخرج منها الها معبودا. و"**عمرو بن العاص**" ، دخل مصر قائدا عاديا، وخرج منها من بناة الدول. و"**صلاح الدين الايوبي**" ، الذى قال بما معناه "هذا بلد لا يخرج منه الا مجنون"، ماذا كان قبل أن يدخل مصر؟ مجرد ضابط صغير، جعلت منه مصر صانعا من صناع التاريخ. و"**نابليون بونابرت**" ، الذى دخلها مغامرا، وخرج منها وقدمه على اعتاب سيادة العالم ومقولته الشهيرة "قل لي من يحكم مصر أقل لك من يحكم العالم". وكان "**شامبليون**" يقول: "أنا شامبليون المصرى". جاء الى بلادنا غلاما فى الثامنة عشرة من عمره يلتمس المجد، وخرج منها وفى احدى يديه مفتاح الهيروغليفية، وفى الاخرى مفتاح الحياة، بهذين المفتاحين اضاف الى تاريخ البشرية خمسة الآف سنة وعثر على مفاتيح اخرى لألوف السنين. هذا العبقرى مات فى الثانية

والاربعين من عمره وكان محموما بمصر.

وهذا نفسه ما حدث مع "**الامام الشافعى**" ، "**ابن خلدون**" ، "**جمال الدين الافغانى**" ، "**سليم وبشارة تقلا**" ، "**فرج انطوان**" ، "**الشيخ مصطفي صبرى**" ، وايضا مع "**يعقوب صنوع**" و "**نجيب الريحانى**" و "**بيرم التونسى**" و"**فؤاد حداد**" و"**استيفان روستى**" و "**فريد الاطرش**". ومازال يحدث مع "**سليم سحاب**" و"**محمد خان**" و"**نصير شمة**" .....وغيرهم كثيرين لا يتسع المجال هنا لحصرهم.

ولكن كل هؤلاء اتوا من الخارج، لم يصنعوا تاريخ مصر، بل مصر صنعت تاريخها وصنعتهم ايضا. مصر صنعت لهم جميعا أكثر مما صنعوا لها.

ان تاريخنا لم يكتب بعد، عندما يكتب ستتلاشي اسماء كثيرة ..... انما العقول الكبيرة التى صنعت تاريخ مصر هى عقول ابنائها الذين نشأوا من ترابها. اولئك الذين يخرجون من بطون الريف وفى قلوبهم فحولة الفراعنة وحزم شيخ البلد ورقة نفرتيتى. اولئك الذين يصنعون تاريخ مصر على مهل وفى صمت.

والان: هل أجبنا علي سؤال : مصر .....ما هي ؟؟؟؟؟

انها أم الدنيا، بل هى الدنيا ....ولو عرف كل مصرى قدر مصر ، لما كفاه أن يعمل لها بجهده وقلبه وعقله دون كلل أو ملل أو ضجر .....بهذا فقط يكون المصرى جديرا بمصر.

مصر : هذا الوطن العظيم الجميل الذي نتشرف بالانتساب اليه.

وتحيا مصر .....تحيا مصر..... تحيا مصر ....

التوصية المقترحة

اعادة إحياء تراثنا الثقافى والحضارى واتاحته بشكل مبسط وأسعار معقولة للجميع وذلك عن طريق اعادة نشر وتوزيع بعض الكتب الهامة لنشر الوعى والتعريف بوضع مصر ومكانتها التاريخية والحضارية، وربما يكون ذلك عن طريق الهيئة العامة للكتاب، اسوة بما كان يتم في المشروع الرائع (مكتبة الاسرة) والمقترح من هذه الكتب علي سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب : تكوين مصر شفيق غربال
- كتاب : سندباد المصري حسين فوزي
- كتاب : مصر ورسالتها حسين مؤنس
- موسوعة شخصية مصر جمال حمدان (بعد ايجازها وتبسيطها في كتاب واحد بحجم معقول وبسعر مقبول لكافة فئات المجتمع) .
- واقترح أن يعلن عن احياء هذه الكتب وطرحها بمؤتمرات الشباب اسوة بما حدث مع كتاب د. ميلاد حنا: مصر واعمدتها السبعة كتقليد يتبع للحد من الامية الثقافية وأمية المتعلمين، وهى احدى الآفات التى نعانى منها الآن بشدة.

الهوامش

تم عرض الورقة البحثية في المؤتمر الدولى الثانى لكلية الآداب جامعة دمنهور ، العلوم الإنسانية ودورها في التنمية المستدامة واستشراف المستقبل، ٢٨ – ٢٩ سبتمبر ٢٠١٩

١. ورد اسم مصر في القران الكريم خمسة مرات بصريح اللفظ وثلاثة وعشرون مما دلت عليه القرائن : (البقرة ٦١ ، يوسف ٢١،٩٩ ، الزخرف ٥١ ، يونس ٨٧)
٢. برستيد ، جيمس هنري ، فجر الضمير ، (ترجمة سليم حسن) ، ص١٨ .(راجع بحث ارمان ١٩٢٤ بعنوان " مصدر مصري لأمثال سليمان " .
٣. حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، ص١٨
٤. حسين فوزي ، سندباد مصري ، ص٣٤٥-٣٤٦ .
٥. نعمات أحمد فؤاد ، شخصية مصر ، ص١١ .
٦. سورة الآعلي (٦) .
٧. جمال حمدان ، شخصية مصر ، ص ٥-٩ .
٨. طة حسين ، مجلة كوكب الشرق ، عدد١٢/ اغسطس /١٩٣٣ .
٩. ليلي تكلا ، التراث المسيحي الاسلامي ، ص ١٨٤ .
١٠. ميلاد حنا ، الاعمدة السبعة في الشخصية المصرية ، ص٥٤ .
١١. طاهر عبد الحكيم ، الشخصية الوطنية المصرية،دار الفكر والدراسات والنشر والتوزيع،القاهرة ١٩٨٦ ،ص٧٢ .
١٢. Chialed , Man Makes , London , 1951 , pp. 88ff., 183.
١٣. وهيب كامل ، سترابون في مصر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص٤٦ .
١٤. وجدير بالذكر هنا : أن الاستجابة الحضارية قد تشابهت في مجملها تقريبا في مواطن الحضارة الثلاثة الاول :

مصر والعراق والهند،وهي تتشابه الي حد بعيد في ظروف البيئة وتختلف كثيرا في الأصل والعنصر .

١٥. محمد شفيق غربال ، تكوين مصر ، ص ١٣-١٥ .

١٦. بريور دوجلاس وتيتر ايملي ، مصر والمصريون ، (ترجمة عاطف معتمد و محمد رزق) ص٢٨٢- ٢٨٥ .

١٧. راجع حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، ص١٩ .

١٨. سيد كريم ، لغز الحضارة المصرية ،ص١٠ -١٥ .

١٩. أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص٣٥٥ .

٢٠. جمال حمدان ، شخصية مصر ، ص١٠٢- ١١٨ .

٢١. اللورد بيتر كارنجتون : هو نفسه مبدع صياغة قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) وتلاعبه بحذف أداة التعريف (ال) من النسخة الانجليزية لتصبح الترجمة العربية (أراض) . ولذلك لقب بشيطان الامم المتحدة .

٢٢. السفر الثاني من اسفار موسي (اسفار العهد القديم) .

٢٣. تقي الدين المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الحفظ والآثار .

٢٤. سورة طه ١٢ ، سورة التين ١،٢ ، سورة المؤمنون ٢٠ .

٢٥. عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر ، ٢٦٣ .

قائمة المراجع :

- أحمد فخرى، مصر الفرعونية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٥.
- برستيد، جيمس هنرى، فجر الضمير، (ترجمة سليم حسن)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥ .
- بريور دوجلاس و بيتر أيملى، مصر والمصريون (ترجمة عاطف معتمد ومحمد رزق) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩ .
- حسين فوزى، سندباد مصرى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- حسين مؤنس، مصر ورسالتها، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨ .
- جمال حمدان، شخصية مصر(دراسة في عبقرية المكان)، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠ .
- سيد كريم ، لغز الحضارة الفرعونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .
- طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥ .
- عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، مكتبة الانجلوالمصرية ، ٢٠١٤ .
- عبد الرحمن الشرقاوى، الفاروق عمر، دار الشروق، ٢٠١٠ .
- ليلى تكلا، التراث المسيحى الاسلامى، دار الشروق، ٢٠١٠ .
- محمد شفيق غربال، تكوين مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ .
- ميلاد حنا، الاعمدة السبعة فى الشخصية المصرية، دار الهلال، ١٩٩٠.
- نعمات احمد فؤاد (شخصية مصر) دار نهضة مصر ٢٠١٤
- وسيم السيسى، مصر التى لا تعرفونها، نهضة مصر، ٢٠١٢.